

فِي شَهْرِ الْقُرْآنِ

دعوة لتعامل أرقى مع كتاب الله تعالى

بين شهر رمضان المبارك والقرآن الكريم ثمة علاقة وطيدة، فهذا الشهر الذي هو خير الشهور عند الله تعالى هو كذلك ربيع القرآن " لكل شيء ربيع، وربيع القرآن شهر رمضان " [الإمام الباقر (ع)]. وقد شهد هذا الشهر نزول القرآن كما ينصّ القرآن الكريم ذاته ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾، وما يؤكد هذه العلاقة ما دلت عليه الروايات من استحباب استقبال هذا الشهر الكريم بتلاوة كتاب الله تعالى، ومن التنويه بمضاعفة ثواب هذه التلاوة بالقياس إلى الأوقات الأخرى، إلى حد أن من تلا في شهر رمضان آية واحدة كان له مثل أجر من ختم القرآن كله في غيره من الشهور، كما يقول رسول الله (ص) في خطبته الشهيرة في استقبال هذا الشهر المبارك.

من هنا- وتتأثر من أجواء شهر الله تعالى، نجد أنفسنا مدفوعين للحديث عن كيفية تعامل المسلمين مع القرآن الكريم ومدى الاهتمام الفعلي الذي يحظى به من قبلهم، وذلك على ضوء الاهتمام المطلوب الذي حثت عليه النصوص الشريفة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، ما جاء في أقوال الرسول الأعظم (ص): " خياركم من تعلم القرآن وعلمه "، " ألا من تعلم القرآن وعلمه وعمل بما فيه فأنا له سائق إلى الجنة "، " حملة القرآن عرفاء أهل الجنة "، " حامل القرآن حامل راية الإسلام، من أكرمه فقد أكرم الله، ومن أهانه فعليه لعنة الله عز وجل ".

ومن ذلك قول علي (ع): " عليكم بالقرآن فاتخذوه إماماً قائداً ". وقول الإمام الصادق (ع): " ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعلمه ".

وغير ذلك الكثير مما حثّ على تعظيم القرآن وإتقان تلاوته، وتعلمه وتعليمه وتدبره والالتزام بتعاليمه وأخذ تفسيره وتأويله عن العالمين به حقاً.

ويمكن القول بأن الحالة الغالبة ضمن ما نعرفه من أوساط المسلمين، وإلى عهد قريب، فيما يخصّ تعاملهم مع القرآن، هي اعتباره كتابهم السماوي المقدّس الذي يتبركون به، ويمنعون إهانتته، ويتخذونه حرزاً للحفظ من الابتلاءات والمصائب الدنيوية، وهم يقرأون قدرأ منه في صلواتهم اليومية، كما يحرص عدد غير قليل منهم نسبياً على ختمه خصوصاً في شهر رمضان، وهم بالإضافة إلى ذلك، يلتزمون عادة بتلاوة بعض آياته في مناسبات العزاء والمناسبات الدينية الأخرى.. ومظاهر التعامل التي ذكرناها لا جدال في كونها جيدة في حدّ ذاتها، ولكنها غير كافية أبداً.. بل ثمة ما هو أهم منها ما دلّت عليه النصوص الشريفة الكثيرة كما في قوله تعالى: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [محمد: ٢٤]. وقول الرسول الأكرم (ص): " ليس القرآن بالتلاوة ولا العاسم

بالرواية، ولكن القرآن بالهداية والعلم بالدراية". وقوله (ص): "ما أمن بالقرآن من استحلّ محارمه".

وما ورد عن الإمام الصادق (ع) في توصيفه لكيفية التعامل السليم مع القرآن قال: "القرآن ثلاثة: قارئ قرأ ليستدرّ به الملوك ويستطيل به على الناس، فذاك من أهل النار، وقارئ قرأ القرآن فحفظ حروفه وضَيّع حدوده، فذاك من أهل النار، وقارئ قرأ فاستترّ به تحت برنسه، فهو يعمل بحكمه ويؤمن بمتشابهه ويقيم فرائضه ويحلّ حلاله ويجزّم حرامه، فهذا ممن ينقذه الله من مضلات الفتن...".

وبالرغم مما نلمسه من وجود اهتمام أكبر بحفظ القرآن وتعلّم أحكام تلاوته في الفترة الأخيرة، من خلال نشوء جمعيات ومؤسسات تعنى بذلك، وبالأخص على صعيد الجيل الناشئ، حتى أن بعضاً من أفراد هذا الجيل قد أظهروا نبوغاً وتفوقاً كبيرين في هذا المجال، إلا أن الاهتمام المذكور يبقى أقل مما كان عليه الحال في حياة أجدادنا ومن سبقهم، وأقل بكثير مما يدعونا إليه الإسلام وكتابه المقدس ونبيه الهادي (ص).

إن القراءة المستمرة للقرآن هي أمر جيد بذاته، خصوصاً إذا كانت بدافع التقرب من الله عز وجل، وكذلك تعلّم أحكام القراءة وضبطها وإتقانها.. ولكن يبقى أن ما هو أهم من ذلك هو فهم وتدبر معاني الآيات ومضامينها بقصد السعي لتطبيقها والعمل على ضوئها وبهدي منها، وذلك على المستوى الفردي وعلى الصعيد العام، كما بينت ذلك النصوص الشريفة التي مرّت معنا.

وهنا لا بد من التأكيد على مسألة في غاية الأهمية بالنسبة إلى الفهم الصحيح للقرآن وإلى تفسير آياته الشريفة وتأويلها، طالما أحدث تجاهلها الإساءة إلى أهداف القرآن وإلى الضياع ومجانبة الحق. هذه المسألة هي ضرورة الرجوع في ذلك إلى المعصومين (ع) الذين هم مستودع علم الله تعالى، والمؤهلون لتفسيره وتبيان معانيه وأحكامه الصحيحة التي يستعصي الوصول إليها بالرأي وحده دون الرجوع إلى ما يبتونه ووجهوا إليه في هذا الشأن.

قال الرسول الأكرم (ص): "قال الله جلّ جلاله: ما أمن بي من فسّر برأيه كلامي"، وقال أيضاً: "من قال بالقرآن بغير علم فإيتبوا مقعده من النار". وهذا ما قصده الإمام الصادق (ع) بقوله: "من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر وإن أخطأ كان إنمّه عليه".

وتحتّم لتركيّز هذا المعنى وتوضيحه بحديث شريف عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري (ع) عن أمير المؤمنين علي (ع) قال: "قال رسول الله (ص): "أتدرون من المتمسك به (القرآن) الذي يتمسكه بينال هذا الشرف العظيم؟ هو الذي أخذ القرآن وتأويله عنّا أهل البيت، أو عن وسائطنا السفراء عنا.. لا عن آراء المجادلين وقياس القانسين".

جعلنا الله تعالى جميعاً من التالين لكتابه الكريم حق تلاوته، والعاملين بهديه وتعاليمه، والمتمسكين بالمعصومين المؤمنين عليه.

نور الإسلام